

الفصل الثاني

الثَّعَّةَ بِالذَّاتِ الثَّعَّةَ بِالْآخِرِ
فِي نَظَرِيَّاتِ عِلْمِ النَفْسِ وَالنَّمَاذِجِ الْمُفَسَّرَةِ

الفصل الثاني

الثقة بالذات الثقة بالآخر في نظريات علم النفس والنماذج المفسرة

يتناول هذا الفصل ما عرضت له نظريات ومدارس علم النفس المختلفة من تناول للثقة (الثقة بالذات الثقة بالآخر) وكذا مجهودات قياسها . عرضت عديد من النظريات والنماذج المفسرة للثقة، ومن أمثلتها: نظرية التعلم الاجتماعي لروتر *Rotter*، وروتر ورايتسمان *Rotter & Wrightsman* ١٩٧٣ - ١٩٨٠، ونظرية إريكسون، ونموذج المكونات، ونموذج ارتفاع العلاقات الحميمة ، ونموذج أشكال الثقة.

عرض روتر *Rotter, 1954* لمفهوم الثقة في إطار نظرية التعلم الاجتماعي ، ووفقا لهذه النظرية فإن سلوكا محددا في مواقف بعينها يعتمد على ما يتوقعه الفرد من دعم وتقييم من الآخرين، وذلك بناء على وعد أو التزام أو تعهد لفظي أو مكتوب سبق و أظهره هؤلاء الآخرون ، فالثقة هي توقع بأن الآخر يمكن الاعتماد عليه ، وهو توقع يعمم من موقف إلى آخر حتى يصبح توقعا عاما (*Rotter, 1980*).

ولا تزال تأكيدات إريكسون ١٩٦٣ على "الثقة مقابل عدم الثقة " تحظى بتأييدات واسعة في مجال البحث والدراسات النفسية ، وقد ناقشت هورنى وغيرها من أنصار التحليل النفسى من قبله مفهوم " الثقة الأساسية : *Basic Trust* " انطلاقا من علاقة الطفل بأمه ، وكيف يخبر مشاعر الخوف والتشكك فى حالة غياب مشاعر الثقة فى سنوات العمر الباكرة ، والتي تكون استعادتها تحديا أساسيا فى نجاح أى علاج يقدم لهذا الطفل (Stenson, 1999).

واستنادا إلى نظرية إريكسون فإن الثقة الأساسية فى مقابل عدم الثقة هى مرحلة نمائية حرجة تؤثر على النمو النفسى الإجتماعى ، وهى نظرية تلتقى مع نظرية بولبى التى تشير إلى العلاقات الباكرة فى حياة الطفل وتأثيرها على ما يعرف باستعداده للثقة فى الآخرين *Readiness to trust* ، وفى المدرسة السلوكية قدم علماء النفس تفسيرات سلوكية للثقة والتي تعتبر من وجهة نظرهم اختيارا يراعى فيه كل طرف مصلحة الطرف الآخر .

وفى رأى الكاتبة أن تناول الثقة من وجهة نظر نمائية تتبعية يفسر لنا كيف يتعلم الأفراد الثقة واستحقاقية الثقة والتسامى فوق الاهتمام بالذات وتقدير الآخرين، وكيف أن مصالح الفرد الشخصية قد لا تجد طريقا إلى

التحقق إلا من خلال تحقيق مصالح الآخرين ، ويكون ذلك من خلال تتبع خبرات التبادل الاجتماعي وبداية تشكيل الهوية وتلقى دروس الإخلاص والولاء والتبادلية، على ألا نغفل ما للعلاقة بين الأم وطفلها من دور في تأسيس مشاعر الثقة باعتبارها المصدر الوجودي للإيمان وللأمل في حياة الإنسان ، وهي ثقة أولية تحدد اتجاه الفرد حيال الشعور بالاستمرارية التي تربط بين ادراك الذات ككيان مستقل وادراك العالم المحيط ، وتبدأ حتى قبل أن يتعلم اللغة لأنه يدرك نفسه بالمقام الأول كفرد مستحق للثقة وعلى نحو تبادلي مع الآخرين.

أما النموذج الذي قدمه ريمبل وزملاؤه (Rempel et al ., 1985) فيحدد للثقة أبعادا ثلاثة هي : التوقع ، الاعتماد ، والثقة التامة (الإيمان) ، ويتأثر توقع الفرد لسلوك الآخر بعوامل أساسية منها : اتساق السلوك ، استقرار الموقف الاجتماعي ، أشكال التدعيم والردع ، واحتمالات المكافأة على بعض أشكال السلوك ، وكلما توثقت العلاقة بالآخر قدما برز مكون الاعتماد ، حيث تصبح الثقة بالآخر ثقة في ذاته وليس في سلوكياته المتوقعة، تمهيدا لمستقبل ملىء بالخبرات الجديدة يبرز فيه المكون الثالث وهو الثقة التامة التي يغذيها شعور بالأمن النفسي، وكلما قويت العلاقة زاد الشعور بالثقة.

وترتبط الثقة بالحب ارتباطا دالا يقلل من مشاعر الخوف والتشكك وعدم الأمن في العلاقات الحميمة ، وكلما ازداد عمق التفاعل والاعتماد المتبادل كلما أشبع كل شريك احتياجات الآخر وزادت بينهما درجة التجاذب وتدعمت مشاعر الثقة واليقين في أن الآخر سيسلك على نحو متسق وصادق، وهي حالة تغذى التعلق المتبادل بين الشركاء وتمثل حجر الأساس للثقة التامة (Jones et al ., 1997) .

ويأتى نموذج أنماط الثقة الذى قدمه شابيرو وآخرون Shapiro et al., 1992 لتفسير الثقة فى إطار العلاقات الاجتماعية بين الأفراد بوجه عام ، فالثقة قد تكون ثقة تقوم على الردع *Dererrence – Based Trust* الذى قد يحدث فى حالة عدم استمرار السلوك على نحو متسق متوقع خوفا من العقاب وتطلعا إلى الإثابة ، وقد تكون ثقة تقوم على المعرفة *Knowledge - Based Trust* فكلما كانت معرفتنا والمعلومات المتاحة لدينا عما نتوقعه من الآخر جيدة كلما استمر بناء الثقة به على هذا الأساس ، كما أن هناك أيضا الثقة التى تقوم على التوحد *Identification – Based Trust* وهى الثقة فى حالة الفهم المتبادل والوعى التام من كل طرف برغبات وأهداف وتوقعات الآخر (Lewicki&Bunker,1995).

مما سبق نجد كيف يعكس تناول مفهوم الثقة تصورا يعتبر الثقة خاصية من خصائص الشخصية الانسانية تتفاوت فى مستوياتها تبعا لنوع وعمق صور التفاعل وعمليات التواصل بين الأفراد متأثرة فى ذلك بخبرات التعلم الباكرة وخبرات التعلم الاجتماعى عبر مراحل حياة الانسان ، وتصورا آخر يعتبر الثقة توجهها سلوكيا موقفيا تحركه متغيرات موقفية ، وثالثا يبلور الثقة فى كونها ظاهرة متعددة الأبعاد والمكونات أكثر من مجرد كونها توقعا لسلوك الآخر، مع التركيز على الجوانب المعرفية والوجدانية المحركة لهذه الظاهرة .

وتلفت الدراسة الحالية الانتباه إلى ما يتصوره البعض واهما أن الثقة بالذات الثقة بالآخر إما أن تكون موجودة بكمالها أو مفقودة تماما ، والحقيقة هى أن ما يمكن استخلاصه من العرض النظرى السابق هو أن للثقة مقومات وأساسا ودلائل ، وإما أن تكون ثقة بحق أو تكون اضطرابا يعكس تضخما للذات وزيفا فى تصورات الفرد عنها ، فالثقة بحق ليست فى العناد والإصرار والتمسك بالرأى وإن كان غير صائب ، وليست التحكم بالآخر والسيطرة عليه ، وليست الجراءة بغير حساب ، أو إقحام الذات فيما لا يخصها ، والثقة أيضا ليست مفاخرة أو مباهاة أو تعاظما أو تحديا . ولأن الثقة ليست حالة فطرية يولد الفرد مزودا بها - بحسب اعتقاد الدراسة

الحالية - وإنما هي تكتسب وتدعم وترتقى فإن الثقة بحق هي القدرة على تخطى خبرات الفشل وتجاوز الماضي والتسامح ونسيان الإساءة والعفو عن مواقف الجهل والضعف الانساني ، والبعد عن مقارنة الذات بالآخر من حيث أنه لا يوجد من ليس لديه جوانب ضعف ، وهي تركيز على الإبداعات وجوانب القدرة وملامح الموهبة ، وهي النشاط والعمل والجد والإيجابية والتفاؤل ، وأن نضيف لذواتنا وللآخرين كل يوم جديدا قيما ، الثقة بحق هي ثقة بالذات وثقة بالآخر في حوار هادئ مثمر .

قياس الثقة بالذات والثقة بالآخر:

ويمكن الوقوف على مجهودات العلماء والدارسين في التصدي لقياس الثقة بالرجوع إلى التراث السيكلوجي والإطلاع على عدد من مقاييس الثقة في دراسات عدة منها دراسة آن وإساري *Ahn & Esarey, 2008* ، وكوتش وآخرين *Couch et al ., 1996* ، وهانت وآخرين *Hunt et al ., 1983* ، ودراسة لارزلى وهوستون *Larzerlere & Huston, 1980* ، وكان من هذه المقاييس:

١- مقياس الثقة، إعداد : روتر (Rotter, 1967) والمكون من ثلاثة أبعاد

هي: الاستغلال *Exploitation* ، الإخلاص *Sincerity* ، الثقة

التنظيمية *Institutional Trust* .

مقياس الثقة المتبادلة، إعداد: هوتشريتش (Hochreich, 1973)

والمكون من ٢٢ مفردة تتنبأ بالثقة.

٢- مقياس الثقة، إعداد: إمبر (Imber, 1973) ، والمكون من ٤٠

مفردة لقياس الثقة في الأب ، الأم ، المعلم ، الأقران .

٣- مقياس الثقة الفردية *Individual Trust*، إعداد: ويلز وجروتز

(Wheels & Grotz) وهو مكون من ١٥ مفردة.

٤- مقياس معتقدات الثقة العامة بالأقران، إعداد: إمبر (Imber, 1971)

(1973) - والمكون من ١٠ مفردات يتم الاستجابة عليها بالاختيار

بين إجابتين ويكشف عن الحفاظ على الوعود، الحفاظ على الأسرار،

وقول الحقيقة.

٥- مقياس استحقاقية الثقة وهو مقياس فرعى من مقياس الطبيعة

الإنسانية، إعداد: رايتسمان (Wrightsmen, 1974).

٦- مقياس الثقة المتبادلة *Interpersonal Trust Scale*، إعداد:

كانتريل (Cantril, 1978-1980)، وهو مكون ٢٥ مفردة.

٧- مقياس الثقة التبادلية، إعداد: لازيلر وهوستون (Lazeler &

Huston, 1980).

٨- مقياس الثقة الوجدانية، إعداد: جونسون وسواب (Johnson &

Swap, 1982).

٩- مقياس الثقة، إعداد: ريمبل وآخرون (Rempel et al., 1985)

ويضم أبعادا ثلاثة هي : التوقع والإعتماد والثقة التامة.

١٠- مقياس الثقة بالأصدقاء وزملاء الفصل، إعداد: وينتزل

(Wentzl, 1991).

١١- مقياس الثقة وهو أحد فروع مقياس العوامل الخمس الكبرى ،

إعداد : كوستا وماكري (Costa & McCrae, 1992)

١٢- مقياس الثقة بالنفس ، إعداد : جارانت Garant ، ترجمة :

جابر عبد الحميد وعلاء كفاي (١٩٩٤).

١٣- بطارية الثقة ، إعداد : كوتش وآخرون Couch et al., 1996

وتشتمل على الأبعاد التالية : الثقة العامة ، الثقة فى الشريك ،

والثقة فى شبكة العلاقات .

١٤- مقياس الثقة والانفتاح Group Openness and Trust

Instrument ، إعداد : بولاتش (Bulach, 2001) ، والمكون من

- ٣٠ مفردة تعكس سلوكيات الانفتاح المتمثلة في الكلام والإصغاء ،
وسلوكيات الثقة متمثلة في : شخصية الفرد موضع الثقة ، القدرة ،
المصداقية ، الخصوصية والسرية ، والقدرة على التنبؤ .
- ١٥- مقياس الثقة بالنفس ، إعداد : السيد محمد عبد المجيد (٢٠٠٦)
ويتكون من (٣١) مفردة تقيس مظاهر الثقة بالنفس .